مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 397-417

مصادر تمويل وتموين الكنيسة الأفريقية (250-411م)

The Sources of Financing and Supplying the African Church during (250 - 411 AD)

ط.د وزنة قاطر[1]* ؛ سعيدة اويحي[2]

[1] مخبر المخطوطات جامعة الجزائر 2 / جامعة الجزائر 2(الجزائر)

البريد الالكتروني المهني: ouzena.gater@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

البريدي الالكتروني: saidaouyahia@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/12/28	2024/04/05	2024/06/01

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مصادر تمويل وتموين الكنيسة الإفريقية خلال الفترة الممتدة بين (250 و411م) حتى تتمكن هذه المؤسسة الدينية من تأدية وظائفها ومهامها الدينية، الاجتماعية، الإنسانية الخ، والكنيسة الإفريقية ليست معزولة عن هذا التنظيم فهي بدورها أدت مهام في المستوى سواء من ناحية نشر تعاليم الديانة المسيحية أو الوقوف إلى جانب الفئات المحرومة أو المساهمة في تشجيع ومناصرة المسحيين للصبر لعمليات الاضطهاد التي مورست في حقهم عبر المراحل التاريخية المختلفة. سنحاول إعطاء لمحة حول نشأة وظهور الكنسية في المغرب القديم، ثم معرفة مصادر التمويل والتموين قبل وبعد الانشقاق الديني الذي حدث في سنة 312م، أين ظهرت كنسيتين: كنيسة كاثوليكية تحالفت مع السلطة السياسية التي دعمتها ليس فقط ماليا وماديا بل بالقوانين والمراسيم وكنيسة دوناتية رفضت تدخل الدولة في شؤونها رافعة راية الرفض للوجود الروماني في المنطقة وبالتالي واجهت صعوبات لضمان استمراريتها وديمومتها.

الكلمات المفتاحية: *التمويل ؛ التموين ؛ الكنيسة الإفريقية ؛ الكنيسة الدوناتية ؛ الكنيسة الكاثوليكية .*

Abstract: The study's aim is to identify the sources of financing and supplying the African Church during the period spanning from 250 to 411 AD, to enable this religious institution to perform its religious, social, and humanitarian duties. The African Church was not separate from this system; it too carried out duties in terms of disseminating

* **المؤلف المرسل**

Christianity teachings (catechisms), standing in solidarity with disadvantaged groups, and contributing to the encouragement and support of Christians as they endured persecution throughout various historical stages. We aim to provide a brief overview of the origin and emergence of the Church in ancient Maghreb, followed by an examination of its sources of financing and supplying prior to and after the schism that took place in 312 AD. Two churches emerged during this time: a Catholic Church that allied with the political power which supported it not only financially and materially, but also through laws and decrees; and a Donatist Church that refused state intervention and stood against Roman presence in the region, thereby facing challenges in ensuring its continuity and permanence.

Keywords: *financing ; supplying ; African Church ; Donatist Church ; Catholic Church.*

مقدمة

شهدت الكنيسة الإفريقية عبر المراحل التاريخية المختلفة تطورات سمحت لها بالقيام بعدة وظائف اجتماعية، إنسانية، دينية، تعليمية وحتى السياسية، وهذا عن طريق مدها بالإعانات والصدقات التي تحصل عليها من مصادر مختلفة.فإذا كان شمل المسيحيين قبل الانشقاق الكنسي موحد كل واحد منهم يبحث عن وسيلة أو طريقة لخدمة الكنيسة بما تسمح له قدراته وتوفير الدعم المادي والمعنوي المالي فان الأمر تغير بعد الانشقاق الكنسي الذي حدث في قرطاجة سنة 312م بعدما برزت على الساحة الدينية الإفريقية كنيستين متصارعتين: كنيسة دوناتية التي تتكل على مصادرها الخاصة التي تقتصر على الأنصار ومريديها وكنيسة كاثوليكية المتحالفة مع السلطة السياسية، حيث إضافة إلى مصادرها الخاصة تلقت الدعم ليس فقط المالي بل امتد إلى الاستفادة من القوانين والمراسيم الإمبراطورية التي كانت وسيلة إضافية في يدها لفرض السيطرة على منافسيها، الأمر الذي عزز حظوظها في ضمان مصادر التموين والتمويل وبالتالي فرض السيطرة على الساحة.

تكمن أهمية هذا الموضوع في معرفة مصادر تمويل وتموين الكنيسة الإفريقية التي وصفها القديس أوغسطين بمثابة دولة داخل دولة أي لها مهام كثيرة يتطلب أدائها ميزانية لضمان السيرورة الحسنة لمرافقها المختلفة.

وقد تمحورت الإشكالية حول مصدر أو مصادر الأموال والمؤن والأغراض التي تستعملها الكنيسة الإفريقية أثناء تأدية مهامها خلال الفترة الممتدة بين 250و411م؟
ما هي نتائج تدخل السلطة السياسية في دعم الكنيسة الكاثوليكية وحرمان الحركة الدوناتية منه ؟

ونظرا لطبيعة هذه الدراسة، فإننا اعتمدنا فيها على المنهج الوصفي لوصف الأحداث التي تناولتها المصادر المختلفة والمنهج التحليلي لتحليل بعض الأحداث حسب المعطيات المتوفرة للأحداث والوقائع التاريخية.

1-لمحة حول نشأة وظهور الكنيسة المسيحية في المغرب القديم

خلال القرن الأول ميلادي بدأت رياح الديانة السماوية الجديدة "المسيحية" تهب على بلاد المغرب القديم سالكة وجهة الشرق نحو الغرب، ورغم غياب التاريخ المحدد لظهورها في المنطقة بسبب اعتمادها طابع السرية هروبا من اضطهاد اليهود والوثنيين والأباطرة، إلا أنها انتشرت بسرعة ووجدت من يحتضنها من جموع الناس خاصة الأهالي الذين علقوا أمالا كبيرة حول هذه الديانة القائمة على مبادئ التسامح والأخوة والتآزر والمساواة بين فراد المجتمع، ورفض عبادة الإمبراطور (عمران 2011، ص، 165). إذا كان الجدل لا يزال قائما بين المؤرخين حول تاريخ دخول المسيحية إلى شمال إفريقيا فنفس الشيء حدث حول تاريخ نشأة وظهور الكنيسة المسيحية المبكرة في المنطقة، فإذا اعتمدنا على بعض التصريحات المدونة في المصادر على غرار ترتليانوس الذي عاش في القرن الثالث فقد صرح "*نحن أبناء الأمس نملأ اليوم الأرض وممتلكاتكم من مدن وجزر ومواقع محصنة وبلديات وضيعات ومعسكرات ومقابر ومقر قيادة العشرة والقصر ومجلس الشيوخ والفوروم، ونترك لكم سوى المعابد، يمكننا إحصاء جيشكم، وان مسيحيي مدينة واحدة أكثر منكم عددا، أننا بإمكاننا هزيمتكم بالانفصال عنكم بلا سلاح ولا تمرد، ولكن بهذا الطلاق البغيض*"(Tertilianus)

XXXVII, pp4-6، مثل هذه التصريحات التي تعود إلى سنة 197م والتي تتحدث عن انتشار المسيحية بهذا الحجم، لابد أن تكون لها مقدمات تعود إلى القرن الأول، (بن عطية، 2016، ص 140)، وفيما يخص ظهور الكنائس الأولى فقد تم العثور على بعض المصادر المادية المتمثلة في :

- العثور على مقبرة يهودية مسيحية في منطقة قمرت Gamra tجنوب غرب مدينة قرطاجة خلال عملية التنقيب التي قام بها دلاتر Delattre حيث عثر هذا الأخير على كتابات ونقوش لاتينية وعبرية تتمثل في الهدايات الأولى للعقيدة المسيحية التي حدثت للطائفة اليهودية في قرطاجة (نشنش، 2009، ص26) وإلا كيف نفسر امتزاج القبور المسيحية بالمدافن اليهودية ؟

- دليل مادي أخر يتمثل في العثور على سراديب أموات في مدينة حضرموت جنوب قرطاجة والتي اكتشفها ليينود Reynaud والتي تتضمن نقوش ورموز مسيحية (نشنش، 2009، ص 26).

يشير المؤرخ محمد الهادي حارش أن عمارة البازليك التي انتشرت في شمال إفريقيا خلال الفترة الوثنية والتي يستمع فيها الى شكاوي المواطنين وعقد الصفقات التجارية، تحولت الكثير من هذه البازيلكات مع دخول المسيحية إلى كنائس اصبح لها وظيفة دينية بالدرجة الأولى (حارش، 1992، ص215) جانب هذه الدلائل التي توضح بروز البوادر الأولى للكنيسة المسيحية، فان أول كنيسة قائمة بنظامها الديني ظهرت في إفريقيا كانت في عهد القديس ترتليانوس. وبقرطاجة بالتحديد (بن عطية، 2016، ص140) خاصة بعدما بدأ المسيحيون يجهرون بديانتهم مع بداية سنة 180م، إلا أن الدولة لم تتقبل الأمر، وقد تم العثور على نص أول محاكمة يعود إلى تاريخ 17 جويلية من نفس السنة حين قام بروقنصل فيجيليوس ستورنوس Vejilius Saturninus بإصدار حكم الإعدام في حق 12 مسيحيا في قرية سكيليوم الواقعة قرب قرطاجة (ماضوي،

2008، ص266)، وهكذا يضطهد المسيحيين في إفريقيا بعد ان استشهد الكثير منهم. كماتشير المصادر الأثرية أن الكنائس الأولى هي عبارة عن منازل عادية جهزت لتتماشى مع متطلبات تلك المرحلة أين أصبحت تأوي المسيحيين أثناء عقد مجامعهم وتدريس العقيدة المسيحية وحل بعض المسائل الفقهية (حاجي 2016، ص16). لتتغير لاحقا وتتطور إلى كنائس ذات كامل المرافق لإقامة الصلاة وممارسة طقس التعميد وتعليم تعاليم الديانة المسيحية، إضافة إلى بناء مقابر يتم فيها دفن الأموات، لتليها بعد ذلك مرحلة عقد المجامع الكنسية التي كان أولها تعود إلى سنة 218 و222 وشارك فيها نحو 70 أسقفا وهذه الإحصائيات تعبر عن تجذر المسيحية في شمال إفريقيا وظهورها كان قبل القرن الثاني استنادا إلى تصريحات القديس ترتليانوس (ديسني اليسوعي، 1992، ص6), وخلال القرن الثالث ميلادي بات لكل مدينة كنيستها وناظرها الخاص، حيث يشير انه في عهد القديس كيبريانوس كانت مدن سرتا، ميلاف، باداياس، لامبيز، بغاي وكويكول المقرات الرئيسة لأسقفيات مقاطعة نوميديا. وفي المنطقة الغربية تم ذكر أسقفيات ستيفيس، قيصاريا، تيبازا واوزيا وكلها عرفت تطورا من الجانب المعماري حيث تحولت البنايات من المنازل البسيطة إلى عمارة دينية تتوفر على جميع المرافق الضرورية لممارسة المهام الكنسية، ناهيك عن الضيعات والبنايات المنتشرة في الأرياف النوميدية (قداش، 1993، ص 206) قبل ان يتضاعف عددها بعد الانشقاق الكنسي حيث أضحى في كل مدينة كنيستان وناظران يختلفان في وجهة نظرهما (الغزال، حمودي، 1999، ص 192).

وفي قسنطينة انعقد مجمعا محليا بتاريخ 5 مارس 305 م، احتضنته كنيسة المدينة، ضم 12 أسقفا لانتخاب خليفة الأسقف بولوس Pulus، وفي هذا اللقاء تم طرح قضية المرتدين الذين فشلوا في الصمود أمام اضطهادات الإمبراطور ديوقليديانوس Dioclétianus وقاموا بتسليم الكتاب المقدس وأغراض الكنيسة إلى السلطات السياسية.

عرفت الكنيسة المسيحية تطورا وانتشارا ملحوظا خاصة بعد إصدار الإمبراطور قسطنطين Constantin (306-337) براءة ميلانو سنة 313م أين اعترفت أخيرا الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية (حاجي، 2009، ص 3) حيث شرع الأساقفة في بناء الكنائس الجديدة، ويعد مجمع قرطاج 411م اكبر تجمع انعقد في المغرب القديم من حيث عدد المشاركين حيث عرف قدوم نحو 600 أسقف (279 أسقف دوناتي و286 أسقف) إلى المدينة للفصل في قضية الانشقاق الكنسي الذي مزق الكنيسة الإفريقية لمدة قرن من الزمن (زموري، 2017، ص70).

2.وظائف الكنيسة الإفريقية

2.1 الوظيفة الدينية

إن تأسيس الكنائس في شمال إفريقيا انطلق من أساس فكرة دينية، حيث يتم بناء مثل الأماكن المخصصة للعبادة وتجسيدها يتطلب توفر عقارات تحتضن هذه المشاريع التي تسمح لجموع المسيحيين بممارسة طقوسهم على أكمل وجه. لان الكنيسة هي المخولة لتوفير مثل هذه المرافق لممارسة الشعائر الدينية المسيحية مثل إجراء طقس التعميد الذي قال بشانه كيبريانوس "**إنني لأاعتقد إلا بوجود تعميد واحد داخل الكنيسة يعبر عن حقيقة الرجاء وعن حقيقة الإيمان**" (عمران، 2011.ص 87) وعقد المجامع الكنسية للفصل في القضايا التي تمس بالعقيدة المسيحية والإيمانية كالبدع والهرطقيات والفصل في المسائل التنظيمية التي عادة ما تعطل وتعكر السير الحسن للكنيسة. كما تسهر على الحفاظ على وحدة الكنيسة والدفاع عنها من خطر الانشقاقات التي هددتها في عدة مناسبات. والسهر على نشر قيم التسامح ليعم السلم والسلام وإقامة الصلاة في الكنيسة والحث على تقديم الصدقات والتآزر بين الإخوة في أوقات المحن" (كيبريانوس، ص-ص 22-25).

2.2 الوظيفة التعليمية

منذ الساعات الأولى لدخول المسيحية تراب المغرب القديم تهافت الناس على اعتنقاها خاصة بعد ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة ألاتينية الذي تم بكنيسة قرطاجة (مقالات القديس كيبريانوس، 1958، ص13) الأمر الذي سهل عملية الوعظ وإلقاء الخطب للعاطشين لمعرفة أسرار هذا الدين الجديد الذي يدعو إلى التسامح والتآزر وتطبيق العدالة وهذه الوظيفة يقوم بها القراء الذين يتلون آيات الكتاب المقدس في الاجتماعات، وبذكر وظيفة التعليم فان القديس أوغسطين اهتم كثيرا بهذه المهمة حيث يعتبر الأول الذي أسس الأديرة في شمال إفريقيا وفيها يتم تعليم ما جاء في الكتاب المقدس من شرح وتأويل الآيات وتقديم النصائح والتوجيهات (حسنين، 1998، ص 10)

2.3 الوظيفة الإنسانية والاجتماعية

أحدثت الكنيسة الإفريقية مشاريع خيرية نفذها أساقفتها خلال الأزمات التي حلت بسكان المنطقة في مناسبات مختلفة، فقد اشرنا سابقا إلى المثال الذي قدمه القديس كيبريانوس الذي أقدم على بيع ممتلكاته التي وهبها إلى إطعام المساكين والتكفل بالمرضى ضحايا وباء الطاعون الذي ضرب المنطقة في سنة 250م والمسنين والفقراء والأرامل واليتامى وكانت كل هذه الإعانات كانت مجانية وعلى حساب الكنيسة التي تكفلت بهذه الأعمال الخيرية التي يرجع الفضل فيها إلى أسقفها الذي كشف في إحدى رسائله على القيمة العددية التي تبرع بها حين قال"**من مالي الخاص سأقوم بإرسالي إليكم مؤتي وخمسين قطعة من النقود، لقد قمت بإرسال نفس هذه القيمة ليس من مدة طويلة جدا، ونفس الشيء بالنسبة لرفيقي الشماس فيكتور Victor الذي كان قارئا أرسل من جهته إليكم مؤتي وخمسة وسبعين قطعة**" (Cyprian, lettre 13.7)، وفي هذا الصدد يقول شارل اندري جوليان ان الكنيسة تقوم بمهمة توزيع الأموال التي كان يتبرع بها المؤمنون في شكل هبات وصدقات (جوليان، 1985، ص 316)

وظيفة الوساطة والتحكيم في المنازعات

في العديد من المرات تتدخل الكنيسة لتسوية بعض النزاعات والخلافات القائمة بين السكان والاستماع إلى شكاويهم (حارش، 1992، ص214)، كما تحاول الوساطة بين بينهم وبين السلطة ففي النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي عاشت بلاد المغرب القديم فوضى سياسية ناجمة عن تناحر بعض القبائل النوميدية والمورطانية التي أعلنت رفضها للتواجد الروماني مثلما حدث في سنة 253 م، عندما انطلقت ثورة من الجهة الشرقية لموريتانيا القيصرية شملت قبائل البوار وبعض القبائل المتحالفة معها، بالإضافة إلى قبائل الحلف الخماسي المتمركزة بالقبائل الكبرى، والتي انضم إليها الثار فرا كسن بجيوشه لإعلان هجوم ضخم على نوميديا، وقاموا بأسر العشرات من المعمرين، استدعي الأمر تدخل ناظر كنيسة قرطاجة كيبريانوس الذي جمع 100 ألف سسترس من أموال الكنيسة وسعى من وراء هذه العملية إلى نفي المسؤولية عن المور مصرحا أن مثل هذه الأعمال من قطاع الطرق لتهدئة الأوضاع (شنيتي، 1995، ص 280). وخلال القرن الخامس ميلادي بالغت الإمبراطورية الرومانية في فرض الضرائب على السكان مما زاد من تعقيد الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأهالي الذين اضطروا إلى ترك أملاكهم للأثرياء وأصبحوا غرباء في أراضيهم، هذا الوضع دفع بالقديس أوغسطين إلى التدخل سواء بإسداء نصيحة إلى هؤلاء الأغنياء بتقديم الصدقات للفقراء (عمران، 2018، ص، 115)، او عن طريق التدخل لدى الأباطرة خاصة الإمبراطور هونوريوس محاولة منه للتخفيف من معاناة العبيد وتحريرهم حيث طالب من هذا الامبراطور إصدار مرسوم من شانه أن يعزز سلطة الأساقفة الكاثوليكيين الأفارقة في المحاكم حتى يكون لهم تأثير على الأسياد وتجار الرقيق (زموري2018، ص 249).

3. مصادر تمويل وتموين الكنيسة الإفريقية

1.3 تمويل الكنائس الأولى في المغرب القديم خلال النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي

ليس هناك معلومات كثيرة حول مصادر تموين وتمويل الكنيسة الإفريقية قبل النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي بسبب طابع السرية الذي اعتمدته الكنيسة الإفريقية خوفا من الوقوع في مخالب المضطهدين ومصادر تمويل وتموين هذه الكنيسة تتضح مع فترة تولي القديس كيبريانوس شؤون الكنيسة الإفريقية في سنة 249م (Monceaux, 1902 ; p 205) حيث قام ببيع جميع ممتلكاته وتصدق بها إلى الفقراء خاصة بعد جائحة الطاعون الذي ضرب شمال إفريقيا في هذه الفترة، وقد أعطى أسقف قرطاجة مثالا حيا على الأعمال الخيرية وتضامنه مع الفقراء دون ان يفرق بين المؤمن وغير المؤمن خلال توزيع الصدقات على فقراء الناس والمرضى في عهد الإمبراطور دوسيوس Decius (مرقوريوس، 1958، ص15)، عملية تموين الكنيسة الإفريقية تواصلت بعد وفاة القديس كبريانوس حيث من ضمن ممتلكاتها نجد الكؤوس الفضية، الأثاث، الزرابي والفرشة، الكتب، البراسيم الفضية، وهذا ما تؤكده بعض الوثائق الرسمية كمحضر موناتيوس فليكس Munatius Felix خلال عملية الحجز التي نفذها في كنيسة سرتا في 19 ماي 303م، (Mandouze, 1982, p408)، وقد سمحت عملية الحجز التي نفذها هذا الأسقف بأمر من الإمبراطور ديوقلديانوس بمعرفة بعض أنواع الممتلكات التي تستعمل في إجراء طقوس التعميد وإقامة الصلاة وقراءة وتأويل آيات الكتاب المقدس. وقد أصبح كيبريانوس يُؤمن تسيير شؤون الكنيسة من خلال إطعام المساكين وإيواء المحتاجين (الراهب القمص مرقوريوس، 1958، ص13)، ولكن بعد هذه الفترة بدأت تتضح هذه المصادر خاصة في زمن القديس كيبريانوس الذي أقدم على بيع كل ممتلكاته الخاصة خوفا من الاستيلاء عليها من طرف الإمبراطورية الرومانية، ورغم انه وزع جزءا على فقراء الناس إلا انه

خصص البعض منها للكنيسة لشراء بعض الأغراض المستعملة في ممارسة طقوس التعميد والعشاء الرباني والصلاة.

2.3 تمويل وتموين الكنيسة الكاثوليكية

تعددت مصادر تمويل وتموين الكنيسة الكاثوليكية التي عادة ما تتلقى الدعم من طرف الدولة وسنتطرق من خلال هذه الدراسة إلى الامتيازات المادية والمعنوية والقانونية التي حظيت بها خلال الفترة الممتدة بين 311و411م بعد تنصر السلطة الرومانية:

1.2.3 الامتيازات الممنوحة في عهد الإمبراطور قسطنطين (306-337م)

لقد عرف عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر بالسلم الذي نعمت به الكنيسة والمسيحيين إلا انه لا يخلو من بعض القرارات القاسية والقوانين الجائرة التي أصدرها في حق المنشقين. ففي سنة 318م أصبح بإمكان المتقاضين أن يرفعوا قضاياهم إلى محكمة الأسقف كونه أصبح لحكمه نفس حكم القاضي البلدي وفي نفس درجة المسؤولية، وهذا الامتياز الذي استفادت منه الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع السلطة السياسية سيمكنها من سحق خصومها وحرمانهم من الحصول على حقوقهم رغم لجوئهم إلى العدالة لرفع شكاويهم (الاب صبحي اليسوعي، 1999، ص148).

كما قام بإصدار قانون بتاريخ 5 فيفري 330 منح بموجبه الحصانة الكاملة لرجال الدين الكاثوليك (عولمي، 2023، ص160) إضافة إلى وعده ببناء كنيسة جديدة لهم كتعويض على كنيسة سرتا التي استولى عليها الدوناتيين، في سنة 331 قام بإحصاء ثروات المعابد الوثنية رغم استمرارية هذه الديانة في الأرياف ومحاولة العودة إلى الساحة خاصة خلال فترة حكم جوليانوس المرتد، إلا أن الأمر لم يدوم طويلا ليقضي الإمبراطور تيوديوسيوس على أحلامها الأخيرة في سنة 391م عندما قام بالتخلي عن الحبر الأعظم قام بإلغاء جميع الامتيازات الخاصة بالمعابد والكهنة الوثنيين وصادر ممتلكاتهم وهدمت

تماثيلهم وأغلقت معابدهم، وبالتالي عن قناعة أو بدون قناعة سيتحول اغلب هذه الشريعة على اعتناق الديانة السماوية.(الأب صبحي اليسوعي، 1999، ص153).

2.2.3 الامتيازات في عهد الإمبراطور قسطانس(337-361م)

تواصلت سياسة التحيز العلنية التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية اتجاه الكنيسة الكاثوليكية في عهد الإمبراطور قسطانس والتي سنلخصها في نتائج مجمع 348م التي جاءت مخيبة لأمال الحركة الدوناتية التي تم تحميلها رفقة الدوارين مسؤولية أحداث باغاي 347م التي اندلعت بين الحركة الدوناتية التي تحالفت مع الدوارين والجيش الروماني ومن أهمها:

- الأمر بتوحيد الكنيستين المتخاصمتين في كنيسة واحدة، وبالتالي حل كل الوحدات الكنسية المنشقة.

- الحكم على الدوناتية بضرورة إعادة كل الأموال والمعابد والكنائس الدوناتية إلى الكنيسة الرسمية ومنع إعادة تعميد المتهمين بالهرطقة (Hérésie) والمنشقين إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية.

- نفي المحرضين المنشقين خاصة الأساقفة وعلى رأسهم الأسقف دوناتوس وتعذيبهم (اويحي، 2021، ص 81).

- حضر وتحريم حتى تسمية قتلى الدوناتيين بالشهداء (عمران، 2011، ص215).

3.2.3 تحيز الأباطرة الرومان إلى الكنيسة الكاثوليكية بين 363-395م

تمتد هذه الفترة من تولي لإمبراطور غراتيانوس (Gratianus) 375-379م الحكم الى غاية سنة 395م، وقد احي خليفة جوفيان مجددا سياسة القمع والتحيز للكنيسة الرسمية عن طريق إصدار القوانين والمراسيم الاضطهادية، سعى من خلالها إلى حماية الكاثوليك وضرب الدوناتية (شارن وآخرون، 1981، ص246) حيث يتضمن الدستور الذي أصدره بتاريخ 22 افريل 376م قانونا يأمر بمصادرة جميع أماكن اجتماع المنشقين

وتهديد حكام المقاطعات الذين يتساهلون او يسمحون بعقد التجمعات غير المشروعة ومراسم أخرى تمنع إعادة التعميد الخ بعقوبات شديدة (Monceaux, 1912,T4,p46). وفي 17اكتوبر من سنة 377م يقدم على إصدار مرسوم إمبراطوري ثاني موجه إلى نيكوماكوس فلافيانوس (Nicomachus Flavianus) الذي يشغل مهنة كاهن في إفريقيا يؤكد فيه الإجراءات السابقة بمنع إعادة التعميد ومنح كنائس الأساقفة المنشقين المتهمين بإعادة التعميد إلى الكاثوليك ومصادرة المنازل والممتلكات التي تعقد فيها الاجتماعات وبالتالي تكون الكنيسة الكاثوليكية هي الرابحة الوحيدة من مثل القرارات والتي تسمح لها بتوسيع مكاسبها من الكنائس والأراضي والإغراض الأخرى. (Monceaux, T IV 47). بتاريخ 30 جانفي 412م اصدر هونوريوس قانونا هدد فيه الخوارج بمصادرة أموالهم وإبعادهم ونفيهم عن بلادهم (جوليان، 1985، ص 308).

مراسيم مماثلة تهاطلت على الهراطقة حتى في عهد الإمبراطور ثيودوس الأول (379-395م)، ففي 3ا أوت اصدر 379م اصدر قانونا حضر فيه جميع البدع ومنع المنشقين بالتبشير بمذهبهم وإعادة المعمودية وعقد الاجتماعات، وفي 27 فيبراير 380م أمر جميع رعايا الإمبراطورية بممارسة الإيمان الكاثوليكي وهذا القانون لا يقل أهمية عن القرار الذي اتخذه قسطنطين الأول الذي اصدر براءة ميلانو في سنة 313م، ففي 30 جوان يامر بمصادرة جميع كنائس المنشقين والتي يجب تسليمها إلى الأساقفة الكاثوليك. (Monceax , 1912 ,T4, p 50)

- في 15جوا ن 392م اصدار مرسوم أخر يفرض غرامة مالية تقدر بعشرة ليرات ذهبية على رجال الدين المنشقين وعلى كل من يعقد اجتماعات محظورة ومصادرة المنازل والأماكن التي تنعقد فيها (علومي، 2020، ص133).

- في 18 جويلية من سنة 392م يفرض عقوبة النفي ضد كل من يخل بأمن الكنيسة الكاتوليكية (عولمي، 2020 ، ص127) وتستمر سياسة هذا الإمبراطور الى غاية

وفاته بتاريخ 17 جانفي 395م بمدينة ميلانو لينتقل الحكم إلى ابنيه اركاديوس في الشرق وهونوريوس في الغرب.

وهكذا نلاحظ من خلال هذه القوانين كيف عارضت السلطة الرومانية هذه الحركة وكيف تجدد الاضطهاد ضدها بعد جوليان والذي سيستمر حتى بعد الإدانة الرسمية للحركة الدوناتية في سنة 411م (Arne , 2018, p13).

4.2.3دعم الإمبراطور هونوريوس للكنيسة الكاثوليكية (395-423م)

لم تختلف سياسة الإمبراطور هونوريوس الذي تزامنت فترة حكمه مع دخول القديس أوغسطين ساحة المواجهة مع المنشقين الدوناتيين عن الأباطرة السابقين في كيفية تعامله مع الحركة، الدوناتية رغم ان مونصو يعتقد ان العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والسلطة العلمانية غير فعالة بين 395 إلى غاية 405م مقارنة بالفترة الممتدة بين 405 و423م. وسياسته تتجسد في سنة 405م اثر إصداره لقانون 12 فيفري من هذه السنة، والذي يعتبر لأول مرة الدوناتية هرطقة وبالتالي تمس بالمسائل الإيمانية الكاثوليكية ووحدة العقيدة، ويكون هذا القرار من بين القرارات التي شجعت الكنيسة الكاثوليكية على الاستعانة بالسلطة الزمنية للتفكير في عقد مناظرة لاحقا لمحاولة وضع حد لهذه الأزمة، كما الغي في سنة 410م مرسوم منح الحرية الدينية للطوائف المسيحية لممارسة شعائرها الدينية إلى جانب تعيين شخصية سياسية "مارسيلينوس" لرعاية المجمع الديني الذي انعقد في قرطاج سنة 411م، وكان هذا الأمر خارق للقانون الكنسي، اذ كيف يسمح لشخصية سياسية ان ترأس مجمع ديني في الوقت الذي اكتفت فيه الحركة الدوناتية بدعوة أساقفتها فقط دون أي ممثل سياسي.

سياسة هونوريوس لم تتوقف هنا بل تواصلت حتى بعد الإدانة الرسمية للحركة الدوناتية بعد قيامه بإصدار قانون بتاريخ 26 جوان 411م ينص على قمع الحركة الدوناتية واتباعها في حالة الرفض العودة الى أحضان الكنيسة الكاتوليكية (عولمي،

2023، ص 131). وفي 30 جانفي 412م قانون اخر ينص على مصادرة كل كنائس المنشقين ومنحها الى الكاتوليك (نشنش، 2021، ص568) الى جانب مجموعة من القوانين التي تصب في خانة تجريم الدوناتية وتجريدها من جميع ممتلكاتها.

كما قلنا ان للقديس أوغسطين دور كبير في ممارسة الضغط على خصومه ومحاربتهم بشتى الوسائل، وبذلك بالاستعانة بالسلطة السياسية التي عادة ما تستجيب لرجال الكنيسة على رأسهم أسقف كنيسة هيبون الذي كثف من الشكاوي عبر رسائله الكثيرة لطلب حرمان الدوناتيين من عقد تجمعاتهم وتغريمهم بغرامات مالية التي أنهكت جيوب الدوناتيين وجميع الطوائف المعارضة وأيد حتى استخدام القوة ضد المعارضين لإرغامهم على العودة الى الكنيسة وإنقاذهم من الضلال (بن عطيا، 2021، ص 184).

وهكذا حضيت الكنيسة الكاثوليكية بتأييد الدولة المادي والمعنوي من خلال مرافقتها في القيام بحملاتها التبشيرية بإزالة العراقيل الموجودة أمامها والوقوف في وجه خصومها باستعمال شتى الوسائل وبالتالي أصبح الطرفين جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية والكنسية

3.3 تمويل وتموين الكنيسة الدوناتية

أن مسالة التمويل في الكنيسة الإفريقية متعددة الجهات وأصبحت واجبة لضمان للسير الحسن وتأدية مهام الكنيسة على أكمل وجه، وإنجاح حملات التنصير من خلال إقناع الوثنيين لترك عبادة الإمبراطور وعبادة الأصنام والالتحاق بالديانة السماوية الجديدة وبالتالي تأدية الرسالة كما أوصى بها الرسل والحواريين، وكانت هذه غاية الكنيسة قبل ظهور الانشقاق الكنسي. ولكن بعد سنة 312م سيكون هناك انحراف عن هذه المبادئ المشتركة حيث أصبح طرفا النزاع يترصدان الفرص للإطاحة والسيطرة على الخصم، من خلال حجز الكنائس وأماكن العبادة، رفع دعاوي قضائية لدى السلطة السياسية التي لا تتهاون في اغلب الأحيان في سن القوانين وإصدار المراسيم إلى غيرها من الإجراءات القضائية والتعسفية التي كانت دائما الحركة الدوناتية ضحية لها باستثناء الفترة الممتدة بين

361م، تاريخ اعتلاء الإمبراطور جوليانوس (361-363م) عرش الإمبراطورية الرومانية والذي منح الحرية الدينية لجميع المذاهب المسيحية من اجل ممارسة شعائرها الدينية، (Monceaux,1912, p41) واستغلت الحركة الدوناتية هذه الفرصة لاعادة بناء وتنظيم صفوفها ونافست حتى الكنيسة الكاتولية بعدما استرجعت الكنائس التي تم مصادرها في عهد قسطانس, هذه الفترة تستمر حتى في عهد الإمبراطور جوفيانوس (jovien) 363-364م الذي أراد بدوره انتهاج سياسة التسامح تجاه الطوائف المسيحية (عولمي 2020، ص117). لقد أشار القديس اوبطا الميلي في كتابه ضد الدوناتية إلى الدور الذي لعبته المراة الثرية المدعوة "لوكيلا" في تمويل عملية انتخاب الأسقف مجورانوس للإطاحة بكايكيليانوس، كانت هذه التصريحات في سنة 366م وأكدها القديس أوغسطين في سنة 400 م في إشارة إلى مصادر تمويل الكنيسة الدوناتية (Monceax, 1912, pp19-18). كما تتحصل على هبات وصدقات وارث الأوفياء الذين عادة ما يوصوا بتحويل ممتلكاتهم للحركة. كما يبنه النص التالي للقديس أوغسطين *"...ان مشكلة الثروات المادية يمكن أن تحل في الواقع بسهولة، عندما يلتحق أولئك الذين كانت بملكهم بالسلام الكاثوليكي.وفعلا، فإننا في كل يوم نرجع إلى الملحقين بنا نقود ذويكم وملابسكم وفواكههم وأوانيهم وحقولهم وديارهم، لكن انتم، كيف تستطعون إرجاع (الأعضاء التي قطعتموها) إلى(أجسام) ذوينا؟"* **(**المبكر(2001)، ص 360)، هذا النص لا يعرفنا فقط على طبيعة ونوعية ثروات الكنيسة الدوناتية، بل يشرح لنا بعض الأسباب التي دفعت بالكنيسة الكاثوليكية إلى حجز هذه الممتلكات من عند الدوناتيين سواء تعلق الأمر بالأراضي أو الكنائس وأماكن العبادة أو الأموال، الأواني، الألبسة، المنازل الخ التي تتحصل عليها الكنيسة الدوناتية على شكل هبات أو صدقات أو ميراث، وهذا ما تؤكده شكوى رفعها احد الكاثوليكيين إلى الإمبراطور هونوريوس بعد وفاة أخته الدوناتية في سنة 399م، والتي أوصت بمنح جميع ممتلكاتها للحركة، وقرر المرسوم إعادتها إلى الأخ

الكاثوليكي الذي رفع الشكوى وبالتالي حرمان الدوناتية من تلك الثروات (عولمي، ص 144) وهكذا أضحت مصادر تمويلها محدودة جدا بسبب وقوعها ضحية مراسيم الأباطرة الذين لا يتهاونون في سن ترسانة من القوانين تأمر في اغلب الأحيان بتجريدها من الكنائس وأماكن العبادة وفرض غرامة مالية ودفع الضرائب إلى جانب نفي زعماء الكنيسة والتضييق عليها لأتفه الأسباب. للإشارة فان الدونانية منذ اعتبرها قانون 12 فيفري 405م هرطقة وبالتالي كل الوسائل مشروعة لإدانتها وملاحقتها وتجريدها من ثرواتها باسم القانون، بعدما تمكن أوغسطين من جرها إلى مناظرة قرطاج 411م أين حكم عليها رسميا وتم تجريدها من جميع ممتلكاتها (زموري،2017، ص، 73).

4. خاتمة:

أن مسالة التمويل والتموين في الكنيسة الإفريقية متعددة الجهات والمصادر، وأضحت واجبة لضمان للسير الحسن وتأدية مهام الكنيسة على أكمل وجه من جهة، ومن جهة أخرى التمكن من كسب وافدين جدد والالتحاق بالديانة السماوية الجديدة، وبالتالي حصد شعبية كبيرة والمزيد من المريديين الجدد الى جانبها وتبرير وجودها واثبات نجاحها في أداء المهمة، وكانت هذه غاية الكنيسة قبل ظهور الانشقاق الكنسي في قرطاجة سنة 312م. ولكن بعد هذه السنة سيكون هناك انحراف عن هذه المبادئ حيث أصبح طرفا النزاع يترصدان الفرص للإطاحة بالمنافس والسيطرة عليه من خلال الاستيلاء على ممتلكاته من خلال حجز الكنائس وأماكن العبادة وأثاث وأواني الكنيسة المستعملة في ممارسة مختلف الطقوس الدينية، الى جانب رفع الدعاوي القضائية والشكاوي لدى السلطة السياسية التي لا تتهاون في اغلب الأحيان في سن القوانين وإصدار المراسيم واتخاذ الإجراءات التعسفية التي كانت دائما الحركة الدوناتية ضحية لها.عكس الكنيسة الكاثوليكية التي تجد دائما الدعم المادي والمعنوي والمالي من طرف الدولة وأباطرتها والأنصار والأوفياء وبالتالي لم تواجه ايه صعوبة في عملية تمويل نشاطاتها مقارنة بالكنيسة

الدوناتية التي أصبحت مصادرها محدودة وهذا الواقع ساهم وسهل إزاحتها رسميا من الساحة الدينية الإفريقية في سنة 411م.

5. قائمة المصادر والمراجع:

المراجع بالغة العربية:

القديس كيبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد (1958): ترجمة: الراهب مارقوريوس الانبابيشوى، مكتبة النسر للطباعة.

زموري خديجة، (2017)، القديس اغسطين ودوره في القضاء على الدوناتية (مناظرة قرطاج، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 8 ص-ص، 66-77.

أندري جوليان، شارل، (1985)، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر.

سعيدة اويحي، مدينة باغاي قلعة الدوناتيين، مجلة التاريخ المتوسطي، ص-ص، 74 -86، المجلد 3، العدد 1، جوان، 2021..

شنيتي(م ب(، (1995)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

جاريب.ب.ماتيوز، (1984)، اوغسطين، تر: فؤاد زهري، المركز القومي للترجة، مصر.

عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر 305 /411 م، دار الأكاديمية للنشر والتوزيع، الجزائر.

محفوظ قداش(1993)، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

المبكر محمد (2001)، تاريخ شمال إفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية "429-305 م"، الرباط.

نشنش، (2021)، إجراءات هونوريوس للقضاء على الحركة الدوناتية، مجلة الباحث المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك الميلي بوزريعة، المجلد 13، العدد1 ص-ص، 560-579.

حسن حنفي حسنين(1998)، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط(أوغسطين، انسليم، توما الاكويني)، ط2، مكتبة الانجلو مصرية، مصر.

عبد الحميد عمران، حركة التنصير الديني في شمال افريقيا، مجلة دراسات تاريخية : العددان 115-116، أيلول-كانون الأول ,2011، ص-ص، 161-197.

روبن دانيال، (1999)، التراث المسيحي في شمال إفريقيا من القرن الأول الى القرون الوسطى، تر: سمير مالك، دار منهل الحياة للنشر، بيروت لبنان.

حمودي، نبيلة، (2020)، الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنيين الرابع والخامس ميلاديين، مجلة المواقف للدراسات والبحوث الاجتماعية والتاريخية، مجلد 16، العدد 4، الجزائر، ص-ص، 32-52.

حاجي ياسين رابح، (2009)، البازليكات المسيحية في مقاطعة نوميد، يا دراسة أثرية تنميطية، دكتوراه، جامعة الجزائر 2.

الأب جورج رحمة، (1993)، قبريانوس القرطاجي موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ، المركز الرعوي للأبحاث والدراسات، لبنان.

عولمي الربيع، (2016)، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنيين الرابع والخامس ميلاديين، دكتوراه، جامعة باتنة 1، الجزائر.

عولمي الربيع، (2022)، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في الشمال الإفريقي القديم-دراسة في الأصول والآثار- (311-411م) دار الإحسان للنشر والتوزيع الجزائر.

عولمي الربيع، (2023)، تاريخ ممالك المغرب القديم من البدء الى عشية الفتوحات الإسلامية (310 ق.م-647م)، منشورات مخبر بحث-الجزائر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع جامعة باتنة -1-

الأب أنطوان الغزال –صبحي حمودي اليسوعي، (1999)، تاريخ الكنيسة المفصل، المجلد الأول، دار المشرق للنشر، بيروت.

ماضوي خالدية، (2017)، التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة في العصور القديمة (من ما قبل التاريخ إلى نهاية الاحتلال الروماني)، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم، جامعة احمد بن بلة وهران، الجزائر.

إبراهيم عبد السيد(1987)، البدع والهرطقات خلال عشرين قرنا، الجزء الأول : خلال العشرة قرون الأولى، ط1.

حارش محمد الهادي، 1992، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر,

نشنش حميدة، (2009)، رجال الدين في بلدان المغرب القديم –من ظهور المسيحية في القرن الثاني ميلادي الى غاية السلام المسيحي في 313م من خلال ترتيليانوسTertillianus وكيبريانوسCyprian، ماجستير، جامعة الجزائر 2.

شافية شارن وآخرون(1981)، الاحتلال الاستيطان وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية

St. Cyprian, lettre 13.7

St.Tertilianus XXXVII,

Arne Hogrefe,Umstrittene Vergan genheit(2008),Historische argumente In der enseinandersetzung Augustins mit den donatisten,Band 24,Berlin.

Monceaux,(1970),« Les colonies Juives dans l'Afrique romaine », C.T ,T ,18.

Monceaux. P, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T.2,Sait Cyprian et son temps, éditeur Ernest Leroux, Paris.

Monceaux. P(1912), Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T.4, (LE DONATISME), éditeur Ernest Leroux, ,Paris.

Mandouze.A,(1982), Prosopographie chrétienne du Bas –Empire, T 1.Prosopographie de l'Afrique chrétienne (303-553),Paris. éditions du Centre National de la Recherche Scientifique ,(1982).pp.5(1323. (études d'antiquités africaines),15 ,quai ,Anatole France -75700-Paris , pp,796-800.

http: //www.persee.fr/doc/etaf_0768-2352_1982_mon_2_1,Document généré le 15/10/2015.

Jojane.Ev,Quasten.R,Walter.J &Comerford. T,L,(1984),The Letters of ST Cyprian(letters 1-17),Newman Press,New-York.

6.الملاحق:

صندوق عاجل للرفات، ذا مشهدين منحوتين : دخول المسيح المنصر للقدس وتسليمه لمفاتيح العقيدة المسيحية للحواريين بترس وبولس)، معروض بمتحف الباردو بتونس.

قالب خبز اوخارسي مشفوع بآيات من إنجيل يوحنا (الجزء السادس 51، 58: انا الخبز الذي نزل من السماء وبصورة الأيل رمز الموعوظ,صورة معروضة بمتحف الباردو بتونس

مجموعة من أدوات الطقوس المسيحية من البرونز تتمثل في مصباح أو شمعدان، ومصباح على شكل سفينة ترمز للكنيسة مؤرخة بالقرن الخامس ميلادي) صور معروضة بمتحف البارود بتونس